معارف
ISSN 1112-7007
EISSN 6804 -2600
المجلد 17/ العدد 1 (جوان 2022): ص.ص: 677- 688

نظرية النص من منظور التحليل الأسلوبي "عثمان مقيرش نموذجا"

Text Theory from a Stylistic Analysis Perspective "Othman Mguirech as a model"

ط.د عبد المالك جماع [1] *. د. عائشة آغا [2]. د. مريم حكوم [3]

[1] مخبر الدراسات الصحراوية، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة طاهري محمد - بشار، (الجزائر)، djemaa.abdelmalek@univ-bechar.dz

[2] جامعة طاهري محمد - بشار، (الجزائر)، agha.aicha@univ-bechar.dz

[3] جامعة طاهري محمد - بشار، (الجزائر)، hakkoum.meriem@univ-bechar.dz

تاريخ الاستلام: 2021/12/25؛ تاريخ القبول: 2022/03/20؛ تاريخ النشر: 2022/06/01

ملخص:

لأنّ نظريّةَ النّصّ نظريّةٌ تُعنى بتحليلِ النّصّ الأدبيّ، ولأنّها واحدةٌ من النّظريّاتِ التي تسعى إلى تحقيقِ المواضيعِ الجماليّةِ للآثار الأدبيّةِ؛ جاءت هاته الدّراسةُ لتسلّط الضّوءَ على مدى كفاءةِ الأسلوبيّةِ ونجاحِ مقولاتِها وآلياتِها في مقاربةِ النّصّ الأدبيّ وفكّ شيفراتِه ورموزِه واكتناهِ دلالاتِه، وتحقيقًا لهكذا غايةٍ سلكنا في دراستِنا منهجًا كان أقربَ ما يكون إلى نقدِ النّقدِ، مُتّخذينَ دراسةَ النّاقدِ عثمان مقيرش - الخطابُ الشعريُّ في ديوانِ قالتِ الوردةُ للشّاعرِ عثمان لوصيف- نموذجًا باعتبارها حضورًا نقديًّا أسلوبيّا تلقّى النّصَّ الشّعريَّ الجزائريَّ بالدّراسةِ والتحليلِ.

كلمات مفتاحية: نظرية النص؛ الدوال الأسلوبية؛ نقد جزائريّ؛ عثمان مقيرش.

Abstract:

Because text theory is concerned with analyzing the literary text and because it is one of the theories that seek to achieve the aesthetic sides of the literary productions, this study came to shed light on the efficiency of stylistics and the success of its sayings and mechanisms

* المؤلف المرسل.

in approaching the literary text and deciphering its codes, symbols and connotations. To reach this objective we used an approach that was closer to criticizing the criticism. We focused on the study of the critic Othman Mguirech; "The Poetic Discourse in the collection of poems entitled 'The Rose Said' of the Poet Othman Loussif "as a model as it presents critical and stylistic example that received the Algerian poetic text through study and analysis.

Keywords: text theory; stylistic signs; Algerian criticism; Othman Mguirech**.**

المقدمة:

عُرف الاشتغالُ النقديُّ العربيُّ المعاصرُ بمواكبتِهِ السيرورةَ النّقديّةَ الغربيّةَ في شتّى مَناحيها ونواحيها، مُذ طفقت مناهجُ النّقد تَفِدُ المنهجَ تِلوَ المنهجِ، ولعلّ الأسلوبيَّةَ أحدَ أبرزِ تلكَ المناهجِ لما لقِيَتهُ من قبولٍ محمودٍ واهتمامٍ ملحوظٍ من قِبل مُتلقّيها في الوطن العربيّ، نظرًا لسلاسةِ مُمارستها في تعاملها مع النّصّ الأدبيّ، وكذا إلمامِها بكلّ مُكوناتِ الخطابِ الأدبيّ من ناحيةٍ، ومن أخرى تشابُهُ مباحثِها ومباحثِ الدّرسِ النّقديّ العربيّ التُّراثيّ، ولَمّا كان الحالُ كذلكَ ألفينا النّقّادَ العربَ - ونخصّ بالذكر منهُم الجزائريّين - استفادوا من ذلكَ وأفادوا؛ استفادوا من ثقافةِ الآخرِ من نظرياتٍ ومناهجَ غربيّةٍ نقديةٍ، وأفادوا غيرَهم من الباحثين بتوظيف تلك النّظرياتِ خائضينَ في ذلك غِمار التّنظيرِ والتّطبيقِ مُستثمرين ما استفادوا منه من آلياتٍ وإجراءاتٍ نقديةٍ، وتأسيسًا لهكذا منحى اعتمدنا دراسةَ النّاقدِ الجزائريّ عثمان مقيرش[1] الموسومة "الخطابُ الشعريُّ في ديوانِ قالتِ الوردةُ للشّاعرِ عثمان لوصيف" باعتباره نموذجا نستنتجُ منهُ أو بالأحرى نُدركُ بهِ طبيعةَ التّوظيفِ الأسلوبيّ في الوسطِ النّقديّ الجزائريّ تنظيرًا وتطبيقًا، ونحنُ إذ ذاكَ

(1) - هو الدكتور عثمان مقيرش أستاذ محاضر (أ) بقسم اللغة والأدب العربي، جامعة محمد بوضياف المسيلة، نال شهادة الليسانس بجامعة المسيلة 2005.، ثم شهادة الماجستير بالجامعة المركزية يوسف بن خدة الجزائر العاصمة 2009، شهادة الدكتوراه بجامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2017، من أعماله: الخطابُ الشعريُّ في ديوانِ قالتِ الوردةُ للشّاعرِ عثمان لوصيف، الصادر عن المؤسّسةِ الصُّحفيةِ بالمسيلةِ الجزائر سنةَ 2011، وديوان شعري: لهاث المسافات صادر عن دار خيال للطباعة والنشر والتوزيع، برج بوعريريج، 2021، وله عدة مقالات علمية في مجلات وطنية ودولية.

نسعى سعيَنا محاولينَ - ما استطعنا - الإجابةَ عن التّساؤلاتِ التّاليةِ:

- مدى التزامِ النّاقدِ بآلياتِ المنهجِ الأسلوبيّ.
- مدى استيفاءِ مُمارسةِ النّاقد عثمان مقيرش الآلياتِ الإجرائيةَ للمنهجِ الأسلوبيّ.
- وأخيرًا هل استطاعَ النّاقدُ باعتماد المنهجِ الأسلوبيّ تحقيقَ الموضوعِ الجماليّ.

1 حولَ المنجزِ النّقديّ:

هو سِفرٌ نقديٌّ ضمَّ بين دفّتَيهِ تسعينَ ومائةَ صفحةً (190ص)، صدر عن المؤسّسةِ الصُّحفيةِ بالمسيلةِ الجزائر سنةَ 2011، سعى النّاقدُ فيهِ إلى إرساءِ معالمِ الأسلوبيةِ مُبيّنا صلاحيّتَها وكفاءَتها في مُقاربةِ النّصِّ الأدبيّ، باعتبارها أحدَ أهمِّ المنافذِ التي يُمكن للنّاقدِ أن يَنفُذَ من خلالها إلى العوالمِ الجماليةِ للأعمالِ الإبداعيةِ، فهي المنهجُ الذي يجمعُ بين الأساليبِ البلاغيّةِ والأبحاثِ اللّغويّةِ، مُقحِما الأطرافَ الثّلاثةَ الباثَّ والنّصَّ والمتلقّي في عمليةِ تحديدِ الموضوعِ الجماليّ.

وسعيًا منه في بلوغِ مُراده اتّخذ النّاقدُ كنموذجٍ في دراستِه ديوانَ "قالت الوردة" للشاعر عثمان لوصيف، مُعتبرا إيّاه ورشةً عَمليةً يطبّق فيها الأدواتِ الإجرائيةِ والمقولاتِ الأسلوبيةِ، ولعلّ سببَ اختيارهِ لهذا الدّيوان دون غيره -حسبَ رأيِ النَّاقدِ- أنّه من أنضجِ ما جادت به القريحةُ الشعريةُ للشاعر عثمان لوصيف.

من أجل ذلك رأى أن يُقسّم بحثه بعد المقدّمة إلى فصل تمهيديّ تناولَ فيه الجهاز المفاهيميَّ للمنهجِ الأسلوبيّ كالأسلوب ومحدّداتِه والأسلوبيّة واتّجاهاتها، وأربعةِ فصولٍ تطبيقيّةٍ أُخَرَ خصَّ الأولَ منها للدّالِّ الصّوتيّ، وثانيهما للمستوى المعجميّ اللّغويّ، أمّا الثّالث فكان موضوعُه المستوى التّركيبيَّ، ليكون آخرُها حول المستوى الدّلاليّ، وإن كنا نتحفظ عن توظيف مصطلح "المستوى" لمحدوديةِ دلالتِه اللّغويةِ بحيث تكون نتائجُه ثابتةً رغمَ تعدُّد القراءاتِ حول النّصِّ الواحدِ، ونميلُ كلَّ الميلِ إلى توظيفِ "الدّالّ"، بل ونُؤثر استعمالَه على المستوى، لعميقِ أثرِ معناه في بيانِ فحوى مرادِ المقاربةِ النّصّيةِ، ذلك لأنّ "علمَ الدّلالةِ أو دراسةُ المعنى فرعٌ من فروعِ علمِ اللّغةِ، وهو غايةُ الدّراساتِ الصّوتيةِ، والفونولوجيّةِ، والنّحويةِ، والقاموسيّةِ، إنه قمّةُ هذه الدّراساتِ"[1]، وما تجدرُ

(1) - السعران محمود: علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، ط2، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، =

الإشارة إليه هو أنّ هذا المنجزَ النّقديَّ الذي هو موضوعُ دراستِنا، كان في أصلهِ - وقبلَ نشرِه – رسالةً مقدّمةً لنيلِ شهادةِ الماجستير من تأطيرِ الأستاذِ الدّكتور فاتح علاق؛ أستاذ النّقد الأدبي بجامعة الجزائر2.

2 في المنجزِ النّقديّ:

لقد قسّم الناقدُ مُنجزَه النقديَّ إلى خمسةِ فصولٍ كما سبقَ الذكرُ، ولعلّ المُطّلع على المُنجزِ يجدُه قد ضمّ بين ثناياهُ قسمين اثنَين؛ قسم نظريٌّ وآخر تطبيقيٌّ مهّد لهما بمقدّمةٍ عرضَ فيها أهميّةَ دراستِه ودوافعَها وسببَ اختيارِ كلٍّ من المنهجِ النَّقديّ والشّاعرِ والمدوّنةِ، ليبسُط بُعيدَ ذلك رُؤيتَهُ البحثيّةَ حولَ تقسيمِ دراستِه التي عزّزها بمُلحقٍ خصَّصه للشّاعر "عثمان لوصيف"؛ حياتُه ونشأتُه، فضلا عن آثارِه الأدبيّةِ والفكريّةِ، كما لم يُغفِل صاحبُنا العوائقَ والصّعوباتِ التي اعترضت سبيلَ دراستِه، كلُّ هذا بعد المقدّمةِ التي لم يشأ أن يختتمَها قبلَ أن يُزيّنها بكلماتِ شكرٍ عذبَةٍ رقراقةٍ مُتلألئةٍ خصَّ بها جمعًا من الأساتيذِ الأكارمِ يتصدّرهم أستاذُه المشرفُ، فقد سبقَ وأن قلنا أن المنجزَ كان رسالةً قبل النّشرِ، وعلى العموم هي محطاتٌ أَلِف الباحثون الأكاديميّون الوقوفَ عليها في مُقدّمات بحوثهم.

3 القسمُ النَّظريُّ:

في هذا القسم من الدّراسة يعمَدُ النّاقد إلى تِبيانِ جُملة من المفاهيمِ التّنظيريةِ من ذلكَ:

3.1 علمُ الأسلوبِ (الأسلوبية):

استهلّ النّاقدُ حديثَه في القسم التّنظيريّ باختلاف النّقاد حول ترجمةِ مصطلح "Stylistique" ليستقرّ به البحثُ بعد رحلة بين التّرجماتِ العربيّة، إلى ما ذهب إليه عبد السّلام المسدّي، فيقول: "ولعلنا نعود إلى المسدّي ليتّضح المعنى ربّما أكثر، فترجمة المسدّي قد تكون الأوفقَ"[1]، ويبرّر المسدّي مذهبَه في ترجمةِ هذا المصطلحِ مُنطلقا ممّا استقرّت التّرجمةُ عليه في العربيةِ وهو "الأسلوبيةُ" فيقول: "وقفنا على دالٍّ مركّب جذرُه

=

لبنان، 1980، ص 261.

(1) - مقيرش عثمان: الخطاب الشعري في ديوان قالت الوردة، ط1، المؤسسة الصحفية بالمسيلة، المسيلة، الجزائر، 2011، ص11.

"أسلوب" STYLE ولاحقتُه "ية" IQUE وخصائصُ الأصلِ تقابلُ انطلاقا أبعادَ اللّاحقة، فالأسلوب – وسنعود إليه – ذو مدلول إنسانيٍّ ذاتيّ، وبالتّالي يطابقُ عبارةَ علمِ الأسلوبِ SIENCE DE STYLE لذلك تُعرّف الأسلوبيةُ بداهة بالبحثِ عن الأسس الموضوعية لإرساءِ علم الأسلوبِ[1]، وتبريرا لهاته الرّؤية يُوردُ النّاقدُ كلاما لجاكوبسون الذي بلورَ الأسلوبيّةَ في مُقارنةٍ شموليةٍ بأنّها بحث عما يتميّز به الكلام الفني عن بقيةِ مستوياتِ الخطابِ أولا، وعن أصنافِ الفنونِ الإنسانية ثانيا[2]، وبهذا تكون الأسلوبية – حسبَه – خاصةً بما هو أدبٌ فنّيّ، أو قل فنُّ الأدبِ دون غيره من أنواعِ الفنونِ الإنسانية الأخرى، وتبقى هاته الرّؤية مُجحفةً في حق الأسلوبيّة التي بإمكانها تحليل كل ما هو كلامٌ ملفوظٌ دونَ أي اعتبارٍ لجنسِه وشكلِه، باعتبار أنّ الأسلوبَ هو "طريقة الكاتب في التعبير عن موقف ما، وتتمّ الإبانةُ من خلال هذا الموقف عن الشخصيّةِ الأدبيّةِ لهذا الكاتب المُنشئِ وتفرُّدِها عن سواها في اختيار المفرداتِ وتأليفها وصياغةِ العباراتِ ونظمِها"[3]، بحيثُ "يُشكّل بصمةً للفكر ولشخصية فريدة"[4]، ولعلّ هذا مما تتّسم به الأسلوبيّة لاعتماد الأسلوب أساسا على انتقاءِ المفاتيحِ اللّغوية سعيًا في تكثيف أوجه الدّلالة مما يُكسب النّظام اللّغويَّ تأثيرًا يُضفي على المعاني التعدديّة والجماليّة، أو قل يمكن اعتبار الأسلوب "قوةً ضاغطةً يسلّطها المتكلّم على المتلقّي بحيث يسلبه حريةَ التّصرّف إزاءَ هذه القوّة، فكأنّ الأسلوب أصبح بمثابة قائد لفظيّ للمتلقّي"[5] ذلك لأن "التّناول الأسلوبيَّ إنّما ينصبُّ على اللّغة الأدبيّة، لأنها تُمثّل التّنوع الفرديَّ المتميّزَ في الأداء بما فيه من وعي واختيار، وبما فيه من انحرافٍ عن المستوى العادي المألوفِ، بخلاف اللّغة العادية التي تتميّز بالتّلقائية ويتبادلها الأفراد بشكل دائم وغير متميّز"[6]، وبذلك تكون الأسلوبيّة علما وصفيا يُعنى ببحث الخصائص والسّمات التي تَميز النّصّ الأدبيَّ بطريق

(1) - المسدي عبد السلام: الأسلوب والأسلوبية، ط2، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا 1982، ص34.

(2) - يُنظر مقيرش عثمان: مرجع سابق، ص 11.

(3) - جان كوهين: بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد المتولي، ومحمد العمري، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1986، ص158.

(4) - فيلي ساندرس: نحو نظرية أسلوبية لسانية، ترجمة خالد محمود جمعة، دمشق دار الفكر دمشق، ط 1، 2003، ص32.

(5) - عبد المطلب محمد: البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1984 ص 171.

(6) - المرجع نفسه، ص 129.

التّحليل الموضوعيّ للأثر الأدبيّ الذي تتمحور حوله الدّراسة الأسلوبية"[1]، وخلاصة الكلام هي أن التّحليل الأسلوبيَّ يعتمدُ بشكلٍ كبيرٍ على البنيةِ اللّغوية كونَها مدخلا أساسيًا له "فالأسلوبيّة تعني دراسةَ نصّ الخطابِ الأدبيّ من منطلقٍ لغويّ"[2]، وجلُّ المفاهيمِ التي تَرد في هذا الشّأن وإن اختلفت في جُزئيةٍ أو أخرى إلا أنّها تصبُّ جميعها في مصبٍّ واحدٍ، ألا وهو "دراسةُ النصّ الأدبيّ" والبحثُ في السُّبُلِ التي يتحقق من خلالها الموضوع الجماليُّ المتمثّل في المعنى.

3.2 اتّجاهات الأسلوبيّة:

بعد الحديثِ عن الأسلوب والأسلوبيّة، وبسطِ النّاقدِ لجملة من التّعاريفِ اللّغوية والاصطلاحية لهما، يُعرّج على ذكر كل من اتّجاهات الأسلوبيّةِ المتمثّلة في:

3.2.1 الأسلوبيّة التعبيريّة:

ويتزعّمها شارل بالي أحد مؤسّسي الأسلوبيّةِ، وهي تمثّل عنده "البحثَ عن القيمة التّأثيريّةِ لعناصر اللّغة المنظّمة، والفاعليّةِ المتبادلة بين العناصر التّعبيريّةِ التي تتلاقى لتشكيل نظام الوسائلِ اللّغويّةِ المعبرة"[3]، يعقب النّاقدُ مقيرش على هذا الكلام بقوله: "لمّا كانت اللّغة عنده (بالي) تعكس الجانبَ العمليَّ في الحياةِ، فهو يرى أنّ الكلمةَ لكي تؤدّي وظيفتَها المنوطةَ بها يجب أن تكون أداةً للممارسةِ ومن ثَمّ فالمتكلّم يحاول من وراء كلامه أن يفرض رأيه أو فكرةً على الآخرين بقدرِ ما يمتلكُ من وسائلِ إقناعٍ وبراهينَ وحُججٍ وغيرها"[4]، بمعنى آخر تَدرسُ "الأسلوبيّةُ الأفعالَ والممارساتِ التّعبيريّةَ في اللّغةِ المنظّمة إلى حدِّ رؤيةِ أثرها المضمونيّ، وذلك من حيثُ التّعبيرُ عن الأعمال الوجدانيةِ باللّغة، ورؤيةِ أثرِ الأفعالِ اللّغويةِ في الوجدانِ الحِسّيّ"[5]، وهاته النّقطةُ خصوصًا هي أساسُ هذا الاتّجاه لما لها من قيمةٍ تأثيريّةٍ.

(1) - فتح الله أحمد سليمان: الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية،ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2004، ص35.

(2) - المرجع نفسه، ص 35.

(3) - نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ط1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1997، الجزء 1 ، ص 60.

(4) - مقيرش مقيرش: مرجع سابق، ص 13.

(5) - فيلي ساندريس: مرجع سابق، ص 33.

3.2.2 الأسلوبيّة النّفسيّة:

لأنّ الإبداع يصدر في كثير من الأحايينِ عن ما تُكنُّه النّفسُ من مشاعرَ وأحاسيسَ، ركّز ليو سبيتزر في منحاهُ هذا " على العوارض والتّحوّلات التي تحدُث للكلماتِ، وهو يهدف من خلال هذا الإجراءِ إلى تحديدِ المفاهيمِ والميولِ في حقيقةٍ زمنيةٍ معينةٍ، مُلحّا على الجانب النّفسيّ للكلمة والسّياقِ، ومراعيًا المقامَ الذي قيلت فيهِ"[1]، كما وسَمها (سبيتزر) أسلوبيةَ الفردِ، وفي هذا الشّأنِ يلاحظُ النّاقدُ مقيرش أنّ سبيتزر "خرج عن أسلوبيّةِ (بالي) في أنّه أضافَ الجانبَ النّفسيَّ حيث ربط بين النّاصِّ والنّصِّ، وأراد من خلالِ ذلك ربط العلاقةِ بين اللّغةِ وعلمِ النّفسِ"[2] باعتبار أنّه لا يُمكن الفصلُ بين النّصِّ ومُبدعِه.

3.2.3 الأسلوبيّة البنيويّة:

يعدُّ ميشال ريفاتير أحدَ أبرزِ أعلامِ الأسلوبيّةِ البنيويّةِ، من خلال كتابِه الموسومِ "محاولاتٌ في الأسلوبيّةِ البنيويّةِ 1971" والذي عُنِيَ فيهِ بوظائفِ اللّغةِ، والأسلوبيّةُ البنيويّةُ امتدادٌ للّسانيات البنيويّةِ التي أرسى دعائمَها وخطَّ معالمَها اللّسانيُّ فرديناند ديسوسير، ولمّا كانت اللّغةُ عمودًا لا غنى لتشييدِ النّصِّ وبنائِه عنه، نظر رُواد هذا الاتّجاهِ إلى النّصِّ باعتبارهِ بِنيةً مُغلقةً، لذلك فالأسلوبيّة البنيويّةُ "تهتمّ في تحليلِ النّصِّ الأدبيِّ بعلاقاتِ التّكاملِ بين العناصرِ اللّغويّةِ في النّصِّ، وبالدّلالاتِ والإيحاءاتِ التي تُحقّقها تلك الوحداتُ اللّغويّةُ"[3]، ويفسّر هذا القولَ ما ذهب إليهِ النّاقدُ عثمان مقيرش حينَ لخّصَ مَهمّةَ هذا الاتّجاهِ (الأسلوبيّةُ البنيويّةُ) بأنّها "اكتشافُ القوانينِ والأساساتِ التي تُهيكل الخطابَ الأدبيَّ وتُنظّمُه، وكذا العلاقاتِ بين الوحداتِ اللّغويةِ على أساس أنّها (أي اللّغة) حقلٌ مُتكامل تربط بينه أوشجٌ تُكوّن وتحدّد مفهومَها الأساسيَّ بِنيةُ النّصِّ"[4].

3.2.4 الأسلوبيّة الإحصائيّة:

في خِضمّ الحديث عن اتّجاهاتِ الأسلوبيّة تبرزُ أسلوبيّةٌ أخرى هيَ الإحصائيّة، وفي

(1) - السد نور الدين: مرجع سابق، ص 73.

(2) - مقيرش عثمان: مرجع سابق، ص 15.

(3) - السد نور الدين: مرجع سابق، ج1، ص 82.

(4) - مقيرش عثمان: مرجع سابق، ص 18.

هذا يرى حسن ناظم أنّ "من الدّوافعِ الرّئيسيّةِ لاستخدامِ الإحصاءِ في الدّراساتِ الأسلوبيّةِ، إضفاءُ موضوعيّةٍ مُعيّنةٍ على الدّراسةِ نفسِها، وكذلك محاولةُ تخطّي عوائقَ تمنعُ من استجلاءِ مدى رفعةِ أسلوبٍ معينٍ أو حتى تشخيصِه"[1]، ويعتمدُ المنهج الإحصائيُّ على "عمليةِ التّكرارِ سواءٌ في الأسماءِ أو الحروفِ أو الأفعالِ أو الصّفاتِ أو الجملِ وغيرها من أجلِ إخراجِ نسبةٍ مُعيّنةٍ للوقوفِ من خلالها على أسلوبِ مؤلفٍ ما، إضافةً إلى معرفةِ الفوارقِ والميزاتِ بين الأدباءِ لتمييز بعضهم عن بعضٍ"[2]، ولأجل هكذا نتائجَ تبرز قيمةُ التّحليلِ الإحصائيّ الذي يُقدّم خدمةً عمليةً للمنهجِ الأسلوبيّ.

3.3 محدّدات الأسلوب:

بعد ذلك يعمدُ ناقدُنا إلى عرض محدّداتِ الأسلوبِ المتمثّلةِ في "الاختيارِ والتّركيبِ والانزياحِ" عرضا مُيسّرا؛ فاختيارُ اللّغةِ ثمّ حُسن توظيفِها في نسقٍ فنّيٍّ وبدقّةٍ ومهارةٍ إبداعيّةٍ، من شأنِه أن يُجليَ المعاني الخفيّةَ، فجمالُ المعنى من جمالِ المبنى.

4 القسمُ النَّظريّ:

4.1 في الدّوالِّ الأسلوبيّة:

في هاته الزّاويةِ تتجلّى غايةُ دراستِنا، وهيَ زاويةٌ أولاها ناقدُنا قدرًا بالغَ الأهميّة، إذ خصّها بأربعةِ فصولٍ من مجموعِ خمسةٍ، أحاطَ فيها بجميعِ دوالِّ التّحليلِ الأسلوبيّ، مُبيّنا أهمّ المكوّناتِ الأسلوبيّةِ، أو كما نعتَها مستوياتُ التّحليلِ الأسلوبيّ، أوّلُ هاتِه المستوياتِ المستوى الصّوتيُّ، وثانيها المستوى اللّفظيُّ والمعجميُّ، وثالثُها المستوى التّركيبيُّ، ورابعُها وهو الأخيرُ المستوى الدّلاليُّ.

4.1.1 المستوى الصوتي ووظيفته الأسلوبية:

كما هو معلومٌ أنّ نظامَ الأصواتِ هو من الضّرورةِ في طرقِ خفايا ومكنوناتِ المعاني النّصّيّة واكتناهِ أبعادها بمكانٍ، لما لها من أثرٍ فعّالٍ في تحديدِ دلالةِ الحروفِ والكلماتِ،

(1) - ناظم حسن: البنى الأسلوبية في أنشودة المطر للسياب، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص 48.

(2) - مقيرش عثمان: مرجع سابق، ص 18.

بحيثُ تُضفي جماليةً نصّيّةً على الأثرِ الأدبيّ، وقِيَما تعبيريّةً وتأثيريةً على وجدانِ وفكرِ المتلقّي، من أجل ذلك عمدَ النّاقدُ عثمان مقيرش إلى دراسةِ الإيقاع بشقّيهِ الخارجيّ والدّاخليّ، كما لم يُغفل التّعالقَ والتّرابطَ الأسلوبيَّ الذي قد يحصلُ بهما، فيذهبُ إلى القولِ أنّ الإيقاعَ الخارجيَّ يُمثّلُ الأوزانَ والقوافيَ وما اندرج تحتهما من زِحافاتٍ وعللٍ، أما الدّاخليُّ فيُعنى بأسلوبِ التّكرارِ سواءٌ التّكرارُ البسيطُ كتكرارِ المقاطعِ و الحروفِ (الرّوابط) والأسماءِ والأفعالِ والضّمائرِ، أو التّكرار المركّب كتكرارِ الجُمل، وهي تشكيلاتٌ صوتيةٌ تحملُ "دلالاتٍ فنّيةً تكمُن في تحقيقِ النّغميّةِ والخفّةِ في الأسلوبِ ممّا يُضفي على النّصّ قدرةً أكبرَ في التّأثيرِ على المتلقّي... إضافةً إلى هذا فإنّ التّكراريةَ إن صحّ قولنا قد أدّت إلى تناسقِ أجزاءِ نصّ القصيدةِ؛ بل وجعلت كلّ التّمفصلات تنصهرُ في تمفصُل واحدٍ"[1]، بحيثُ يُكمّل بعضُها بعضًا.

4.1.2 المستوى المعجمي اللغوي ووظيفته الأسلوبية:

يُمثّل هذا المستوى بالنّسبةِ للنّاقدِ أهمّ أدواتِ التّحليلِ الأسلوبيّ لما له من خاصيّةٍ في شحنِ النّصّ بالمعاني عن طريقِ توظيفِ ألفاظٍ تكونُ بمثابةِ الوعاءِ الذي يزخرُ بالقيمِ، كما من شأنها أيضًا (الألفاظ) تحقيقُ "تضافرٍ أسلوبيّ وتماثلٍ موسيقيّ إيقاعيّ"[2] وعلى هذا الأساس طفق النّاقدُ ينقّبُ القصيدةَ تِلو القصيدةِ مُصنّفًا المعجمَ اللّغويّ للمدوّنةِ الشّعريّةِ، ودارسًا الكلماتِ وتركيباتِها، لترسوَ سفينتُه البحثيّةُ على شُطآنِ الحقولِ الدّلاليّةِ المتمثّلةِ في حقلِ ألفاظِ أعضاءِ الإنسانِ، وحقلِ ألفاظِ الطّبيعةِ، وحقلِ الألوانِ، وحقلِ الألفاظِ الدّينيّةِ (القرآنُ الكريمُ و التّراثُ الدّينيُّ)، بعد ذلك أخذّ يتأمّلُ توظيفَ الشّاعرِ للمشتقّاتِ وما لها من تأثيرٍ بالغٍ الأثرِ على المضمونِ مثل: (اسمِ الفاعلِ، صيغِ المبالغةِ، الصّفةِ المشّبّهةِ اسمِ المفعولِ، اسما الزّمانِ والمكانِ، وغيرِها)، والأسماءِ مثلَ: (الصّفةِ، الضّميرِ)، وتنوّعُ الحقولِ الدّلاليّةِ وتعدُّدها في أيّ نصٍّ أدبيٍّ دليلٌ على امتلاكِ مُنشئِه ناصيةَ اللُّغةِ.

4.1.3 المستوى التركيبي ووظيفته الأسلوبية:

باعتبارِ أنّ الجانبَ التّركيبيَّ للأثرِ الأدبيّ يُشكّلُ الفضاءَ الرّحبَ الذي تنكشفُ فيه

(1) - ينظر: مقيرش عثمان، مرجع سابق، ص 68.

(2) - المرجع نفسه، ص181.

اللّمساتُ الإبداعيّةُ للمؤلّفِ، انصبَّ اهتمامُ النّاقدِ أوّلا بنمطَي الجملةِ فعليّةً واسميّةً وما اشتملتا عليهِ من روابطَ وعلاقاتٍ سياقيّةٍ، كما عُنِيَ بقضيّةِ التّقديمِ والتّأخيرِ والحذفِ، واتّساقِها لينحوَ بعد ذلك نحو ما وسَمه "الانزياحَ أو العدولَ" مُمثّلا له بباقةٍ من الصّورِ الفنّيّةِ كالتّشبيهِ بأنواعِه وكذا الاستعارةُ ثمّ الكنايةُ، وهي صورٌ بيانيّةٌ أضفت "السّحرَ والرّونقَ على شعرِ عثمان لوصيف، ولعلّ القارئَ الحذِقَ لمدونّةِ قالت الوردةُ ليحسُّ من المتعةِ واستِلابِ اللّبِّ وافتِتانِ النّفسِ وتراقُصِ العواطِفِ ما لا يحسُّ بهِ غيرُه"[1].

4.1.4 المستوى الدلالي ووظيفته الأسلوبية:

كان هذا المستوى آخرَ المستوياتِ التي تناولها النّاقدُ بالدّراسةِ، حيثُ جعلَ اهتمامَهُ فيهِ حول الرمزِ؛ ماهيتِه وأنواعِه، كرمزِ الحُبِّ والمعرفةِ والمرأةِ والخمروغيرِها، ثمّ الأسطورةِ كالسّندبادِ وبرومثيوس وطائرِ الفينيقِ أو العنقاءِ، ليختتمَ دراستَه بالبحثِ في التّناصّاتِ الدّينيّةِ والأدبيّةِ على حدٍّ سواءٍ، وهي إشاراتٌ وعلاماتٌ، لا يسبرُ غَورَها ولا يكتنِهُ عُمقَ موضوعِها إلا قارئٌ بارعٌ متمرّسٌ توجّهُه المباني وتُثيرُه المعاني، لتفتَح آفاقَه نحوَ دلالاتٍ وتأويلاتٍ رحبةٍ مُتعدّدةٍ، فلا سبيل لاتّضاحِ التّجربةِ الشعوريةِ للشّاعرِ إلا بعبقريّتِه في حُسنِ توظيفِ الصّورِ فهيَ "الوسيلةُ التي يُحاوِل المبدع من خلالها نقلَ فكرته وعاطفتِه معًا إلى المتلقّي"[2]، الذي يجدُ مُحفّزًا يدفعُ بهِ نحوَ تفعيلِ مَلكاتِه الحسّيّةِ قصدَ الوصولِ إلى ما يريدُه المؤلّفُ، أو قد يتجاوزُه إلى ما وراءَ ذلكَ.

خاتمة:

في ختامِ هاته الدّراسةِ وبعدَ العرضِ الميسَّر لها؛ يمكن أن نقولَ إنّ النّاقدَ عثمان مقيرش ساهمَ كغيرِه من النّقاد الجزائريّين في إثراء النّقدِ الجزائريّ المعاصرِ سيما الأسلوبيّ منهُ، فاستطاعَ برؤيةٍ عِلميّةٍ ثابتةِ الخُطى استنفادَ المفاهيمِ الأسلوبيّةِ حسبَ ما يتطلّبُه النّصّ الأدبيّ، وعليه نخلص إلى النقاط التالية:

- يمكن وصفُ هذا العملِ بالإنجاز الفريدِ في مجالهِ لِما انمازَ بهِ من شموليّةٍ في دراسةِ الدّوالِّ الأسلوبيّة، فضلا عن التّنظيرِ الذي سبق التّطبيقَ.

(1) - مقيرش عثمان، مرجع سابق، ص 139.

(2) - شايب أحمد: أصول النقد الأدبيّ، ط10، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1994، ص 242.

- تطبيقُ المنهجِ الأسلوبيّ يعني إحاطةَ النّاقدِ بعلومِ البلاغةِ وإلمامَه بفقهِ اللّغةِ من اشتقاقٍ وتركيبٍ، فلا يمكنُ تناوُل النّصّ الأدبيّ أسلوبيّا إلا إذا كان الباحثُ على قدرٍ عالٍ من معرفةِ ما ذكرنا من علومٍ، وهو ما لمسناه في مقاربتِنا لهذا الكتابِ النّقديّ الذي يُبِينُ عن سَعةِ تحكّمِ النّاقدِ من المعارف اللّغويةِ والأدبيةِ من خلالِ ما أوردَ من استنتاجاتٍ وما أدلى به من تحليلاتٍ.
- انفتاحُ المنهجِ الأسلوبيّ على حقولٍ معرفيّةٍ رحبةٍ أكسبَه شموليةَ الرّؤيةِ وجماليةَ التّحليلِ، ولعلّ هذا التّواشجَ العميقَ بين الأسلوبيّةِ والعلومِ الأخرى من أهمّ أسرارِ نجاعةَ المُمارسةِ الأسلوبيّةِ في المقاربةِ النّصّيّةِ.
- العملُ على تطبيقِ المستوياتِ الأسلوبيّةِ كفيلٌ بإبرازِ قدرةِ النّاقدِ على حُسنِ تّعاملِه مع الأثرِ الأدبيّ.
- نجاحُ النّاقد في الوقوفِ على مجموعةٍ من الوظائفِ والخصائصِ الأسلوبيّةِ التي اتّسمت بها القصيدةُ؛ من بنياتٍ صوتيّةٍ ولغويّةٍ وتركيبيّةٍ ودلاليّةٍ، دليل على تمكنّه من توظيفِ المقولاتِ والمفاهيمِ الأسلوبيّةِ.
- استجابةُ مدوّنة قالت الوردة لآلياتِ التّحليلِ الأسلوبيّ، دليل على تفاعل النّصّ الشعريّ مع المنهجِ الأسلوبيّ، وتوافقُ النّتائجِ التّحليليّةِ بينهما لَمّا يُرسّخُ كفاءةَ الأسلوبيّةَ، وهو الأمرُ الذي علّل له النّاقدُ في بدءِ حديثِه عن التحليلِ الأسلوبيّ.

المراجع

- السعران محمود، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، ط2، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1980.
- مقيرش عثمان، الخطاب الشعري في ديوان قالت الوردة، ط1، المؤسسة الصحفية بالمسيلة، المسيلة، الجزائر، 2011.
- المسدي عبد السلام، الأسلوب والأسلوبية، ط2، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا 1982.
- جان كوهين، بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد المتولي، ومحمد العمري، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1986.
- فيلي ساندرس، نحو نظرية أسلوبية لسانية، ترجمة خالد محمود جمعة، دمشق دار الفكر دمشق، ط 1، 2003.

- عبد المطلب محمد، البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1984.
- فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2004.
- نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ط1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1997.
- ناظم حسن، البنى الأسلوبية في أنشودة المطر للسياب، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2002.
- شايب أحمد، أصول النقد الأدبيّ، ط10، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1994.